شعر التفعيلة

شعر التفعيلة هو الشعر الذي يتخذ التفعيلة أساساً عروضيا للقصيدة ، تعرفه نازك الملائكة على أنه «شعر ذو شطر واحد، ليس له طول ثابت وإنما يصحّ أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر ويكون هذا التغيير وفق قانون عروضي يتحكم فيه»

ويخرج شعر التفعيلة عن مبدأ تساوي الأشطر، التي تسمى الأسطر فيما بعد، تمييزا لها عن الأشطر في القصيدة العمودية، ولا يلتزم الشاعر فيه بقافية واحدة في كامل القصيدة، كما لا يتقيّد بعدد معيّن من التفعيلات في السطر الواحد، بحيث قد يشتمل السطر الواحد على تفعيلة أو أكثر وصولا إلى اثنتي عشرة تفعيلة، ومن أسمائه: الشعر الجديد، النظم المرسل، المرسل، والشعر الحر.

وذهب بعضهم إلى أن شعر التفعيلة هو التسمية الصحيحة لهذا اللوّن، على أساس أنه ليس شعرًا حرّا تمامًا مثل قصيدة النثر، وإنما هو موزون وإن اختلفت أوزانه ، ومقفّى وإن تغايرت قوافيه، إلاّ أنه لا يعتمد نظام الأبيات الشعرية المكونة من الأشطر، وإنّما أبياته سطور فقد يحتوي السطر على تفعيلة أو أكثر، والسطر الثاني به عدد يخالف السّابق واللاّحق وهكذا، مثل هذا النسّق الشعري لبحر الرمل.

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
فاعلاتن فاعلاتن
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
فاعلاتن

1- نشأة شعر التفعيلة:

هناك من يرى أن هذا النوع من الشعر الجديد، قد جاء على يد الشاعر بدر شاكر السّياب في ديوانه (أزهار ذابلة) وفيه قصيدة حرّة الوزن من بحر الرّمل (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن) عنوانها (هل كان حبًّا) عام 1947.

غير أن الظهور الأوّل لشعر التفعيلة كما اتفق عليه، كان على يد الشاعرة نازك الملائكة في قصيدتها (الكوليرا)، وهي من وزن المتدارك (فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن) والتي نشرتها عام 1947م، تحدثت فيها عن مأساة الشعب المصري مع انتشار وباء الكوليرا.

وبغض النظر عن مسألة الرّيادة، يبقى شعر التفعيلة أو الشعر الحر ظاهرة أدبية، له نظام ومنهج، حيث ألفت حوله كتب تؤرّخ لبداياته ، وتتحدث عن الأسباب التي دعت إليه، منها كتاب (قضايا الشعر المعاصر) لنازك الملائكة.

2- عوامل ظهوره: من أبرزها:

- انتهاء الحرب العالمية الثانية، وما نتج عنها من دمار سياسي واجتماعي ونفسي، فكانت القضايا السياسية والوطنية والاجتماعية وحتى النفسية والفكرية ، مادة دسمة لهذا النوع من الشعر خاصة وأن القوالب الشعرية التقليدية المقيدة ، لم تستطع أن تقدم الشكل الملائم لمعالجة هذه القضايا المستجدة بفعل شروطها الصارمة.
- انتماء الكثير من المثقفين إلى تيارات ومذاهب سياسية وفكرية مختلفة.
- تأثر رواد هذه المدرسة بالشعر الإنجليزي خاصة (إليوت) في قصيدة (الأرض والخراب)
- التأثر بالواقعية إذ استطاع الشعر الحر تجاوز الرومانسية، التي أعلت من قيمة الفرد والتقيد بالواقع والقضايا الموضوعية.

- استيقاظ الوعي العربي والثورة على الظلم بأنواعه المختلفة، والثورة على الجهل والفقر.

3- خصائصه:

أ. من حيث المضمون:

- التجديد في الأغراض الشعرية فقد اهتم شعراء الشعر الحر بالقضايا الإنسانية، والاجتماعية والوطنية والقومية، كالدعوة إلى الاستقلال والتحرر والمقاومة والعدل، والفقر والتهميش وهموم الشعب.
- دخول موضوع المرأة ولكن بطريقة مختلفة، إذ أصبحت توظف كرمز للمدنية والوطن والأمان....
- دخول موضوع المدنية إلى جانب موضوعات فلسفية، كالزهد والتصوف.
- توظيف الرمز ولغة الإيحاء والأسطورة للتعبير عن المشاعر الخاصة للشاعر وميولاته السياسية، بطريقة يصعب على القارئ إدراك المقصود منها أحيانا.
- النزعة الدرامية التي تعتمد على رسم الشخصيات، والحوار والسرد القصصي داخل النص الشعري ، حيث تعمل هذه التوظيفات على تجسيد التجربة الشخصية في إطار موضوعي.

ب. على مستوى الشكل:

- الابتعاد عن التناظر في القصيدة (نظام الشطرين)
- وحدة التفعيلة دون التقيد بعدد معيّن من التفعيلات في السطر الواحد.
- الاعتماد على البحور الصافية (الكامل، الرمل، المتقارب، المتدارك،، الهزج...)

تقول نازك الملائكة: «والواقع أن نظم الشعر بالبحور الصافية أيسر على الشاعر من نظمه بالبحور الممزوجة.»

- التحرر من وحدة القافية لأن الالتزام بوحدتها يؤدي إلى التكرار والملل، ويعطّل حرية الشاعر.
- الاعتماد على التدفق العاطفي (الدفعة الشعورية).
- الوحدة العضوية وكذلك الموضوعية.
- التدوير ويعني أنه يمكن أن يأتي جزء من التفعيلة في نهاية البيت ، وجزء منها في بداية الجزء الذي يليه.
- توظيف لغة سهلة، بسيطة، قريبة من المتداول في الحياة اليومية.
- الاعتماد على السطر الشعري الذي حل محل البيت الشعري.

4 ــ أهم رواد شعر التفعيلة:

نازك الملائكة ، بدر شاكر الشياب، صلاح عبد الصبور، أحمد عبد المعطي حجازي، محمد الفيتوري، أمل دنقل، أدونيس، خليل حاوي، نزار قباني، فدوى طوقان، محمود درويش، سميح القاسم.

قصيدة يسألونك للشاعر الجزائري يوسف وغليسي

يسألونك عن شاعر مثقل بالحنين
يسألونك عن مغرم يبتغي شبق الروح
في جسد امرأة من مياه وطين !
يسألونك عن عاشق خائب
أنكرته نساء العالمين !
يسألونك عن فائض الماء في البحر...

عن ظمأ الشط للماء...
عن حيرة الرّافدين!
يسألونك عن وجع الورد والياسمين
يسألونك عن غابة النخل في وطَني
شتتتها الأعاصير ذات اليسار
وذات اليمين
يسألونك عن صالح عن ثمود الجيدة....
عن ناقة الله يعقرها سيد الجاهلين.

للتوسّع:

1. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر.
2. رضا عامر، الشعر العربي الحديث والمعاصر.
3. أدونيس، مقدمة للشعر العربي، سياسة الشعر.
4. أدونيس، فاتحة لنهايات القرن.
5. حسن الغرفي، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر.
6. صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة.
7. يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية.